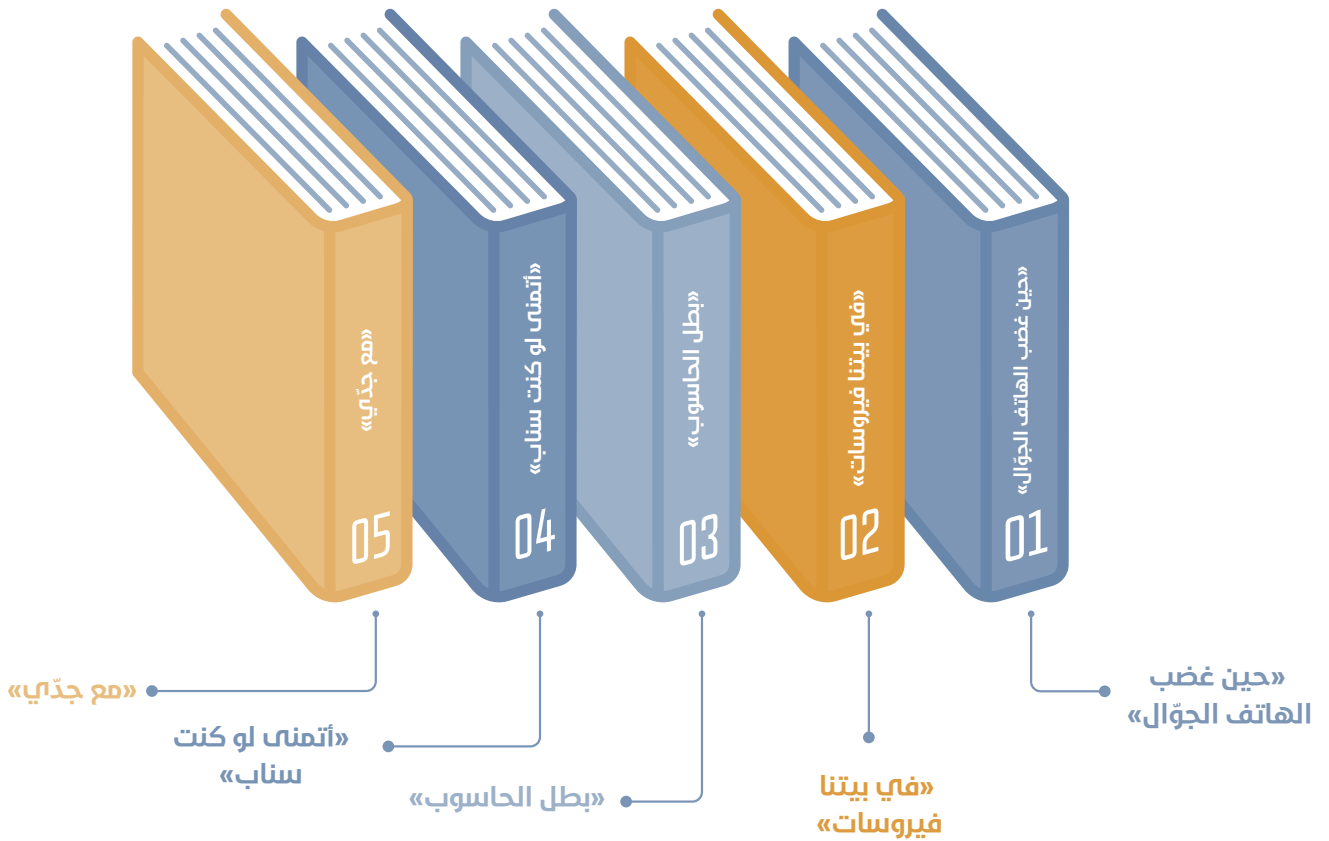


جيل المؤلفين الحالي لم يستعملوها فلم يكتبوا عنها

عندما تتحول الأجهزة الذكية إلى أبطال في قصص الأطفال



سامر أنور الشمالي

كاتب - سوريا

لأننا لا نعمل على تصنيع وإنتاج الأجهزة الذكية؛ فإننا على ما يبدو لا نكتب عنها، أو لأن جيل الكُتاب حالياً لم يستعمل تلك الأجهزة في طفولته، لهذا لم تصبح جزءاً من تفكيرهم وأحلامهم، فلا يكتبون عنها، وهذا ما لاحظته عند البحث عن موضوع الأجهزة الذكية في قصص الطفل العربية؛ فقلةً من تناولوا هذا الموضوع في قصصهم، ورغم ذلك تمكنتُ بعد بحث طويل من إيجاد خمس قصص تعالج موضوع استعمال الأجهزة الذكية من قِبل الطفل بطل القصة، أو من قِبل أفراد أسرته، وبذلك سنكتشف معاً نظرة المؤلف العربي إلى هذه الأجهزة التي غزت كل بيت، وذلك من دون إغفال الأسلوب الذي اختاره كل مؤلف للتعبير عن أفكاره ومشاعر أبطاله.

الجوال الذي لم يرقم بأي دور تاريخي يُذكر، ورغم ذلك يزاومه على الأطفال، بل أخذ يستأثر بهم لأنه يمتلك وسائل جذابة، كالموسيقى والفيديو والألعاب.

ويقدم كل من الكتاب والهاتف الجوال ميزاته، من دون إغفال سيئات خصمه، أمام القاضي «ساعة المنبه» التي تحاول أن تكون منصفة، وعلى الحياد. وهي طريقة لطيفة من المؤلف لتقديم موضوعه أمام الطفل الذي سيكون القارئ، والقاضي أيضاً.

تجري أحداث هذه القصة في غرفة الطفلة «سلمى» التي تستمع إلى النقاش من دون التدخل فيه، ورغم ذلك نجدها تنحاز إلى الكتاب من دون تردد، وذلك عندما ذكّرت أمها بهدية عيد ميلادها، وهي كتب بعدد سنوات عمرها، فلم يخطر لها المطالبة بهاتف جوال حديث! وهنا يبرز دور المؤلف في توجيه الطفل إلى الخيار الصحيح، وقد قام عمرو بهذا الدور بأسلوب غير مباشر، فهو المحترف في مجال الكتابة للطفل ويعرف الطريقة المناسبة لمخاطبته وتوجيهه.



01

«حين غضب الهاتف الجوال»

البداية مع الكاتب الأردني المعروف محمد جمال عمرو، الذي طرح في قصته «حين غضب الهاتف الجوال» مقارنات - من أوجه عدة - بين الكتاب صاحب التاريخ العريق، والهاتف الجوال الحديث؛ حيث نجد الكتاب يفتخر بنفسه لأنه حفظ الحضارة البشرية في مختلف العصور بين دفتيه، ولكنه غاضبٌ من الهاتف



02

«في بيتنا فيروسات»

والسماعات من أمه، ويضعها كلها في صندوق يقفله جيداً، فتتوقف الأجهزة عن العمل، وبذلك يعود أفراد الأسرة إلى حالتهم الطبيعية، والتحدث مع بعضهم، وأيضاً إلى التحدث مع الطفل الذي أنقذهم من الاستسلام لتلك الأجهزة.

هنا نجد أن العاقوص لم يرغب في إلغاء الأجهزة الذكية لأنه يدرك أن هذا لم يعد ممكناً في عصرنا؛ فأشار إلى أن أفراد الأسرة عادوا إلى استخدامها ولكن بطريقة معتدلة لا إدمان فيها.

ولابد من الإشارة إلى أن الطفل أخرج صندوق حكايات الجد. وبذلك قدم هذا الصندوق موازياً للصندوق الذي

الكاتب السوري مهند العاقوص يقدم في قصته «في بيتنا فيروسات» طراحاً مختلفاً عن القصص الشائعة في هذا الموضوع؛ فالطفل لم يصنع المشكلة، ولم يكن طرفها الوحيد، بل هو من حل المشكلة التي تسبب فيها أفراد أسرته، وإن كان من دون قصد! لم يعد بطل القصة يستطيع التحدث إلى أفراد أسرته، فقد وجد أن فيروسات الكمبيوتر تمكنت من أخيه الجالس أمامه طوال اليوم، فحولته إلى تمثال. ويذهب الطفل إلى أخته، فيجد أن الفيروسات التي خرجت من جوالها الذي لا تتركه من يدها حولتها إلى دمية من الشمع. ويذهب إلى حجرة أبيه، فيجد أن الفيروسات التي خرجت من التلفزيون، الذي لا يكف عن مشاهدته ساعات طويلة، حولته إلى صورة معلقة على الجدار. ثم يذهب إلى أمه، ليجد أن الفيروسات التي خرجت من آلة الموسيقى التي تستمع إليها دوماً، حولتها إلى دمية تدور حول نفسها.

ولا يستسلم الطفل للفيروسات التي حولت أفراد أسرته إلى أشياء جامدة لا حياة فيها، فيأخذ «الماوس» من أخيه، والجوال من أخته، وجهاز التحكم من والده،



04 «أتمنى لو كنت سناب»

من سلطنة عمان تقدم الكاتبة وفاء الشامسي قصتها «أتمنى لو كنت سناب» ومحورها المشكلة التي صنعتها الأسرة، وهنا تلتقي مع قصة العاقوص؛ فالوالدان يتعلقان بالاختراعات الذكية بطريقة غير سوّية، وذلك على حساب ابنتهما «جوجو» التي تعاني الوحدة في المنزل.

هذه القصة تخاطب الطفل مقترحةً عليه حل مشاكله بمصارحة الأهل بمشاعره، وفي الوقت نفسه تخاطب الأهل أيضاً للانتباه إلى سلوكهم مع أبنائهم، وهذه قضية في غاية الأهمية، ونلاحظ أنه لم يغفل عنها كتاب قصص الأطفال.

ونجد الوالدين مشغولين ببرامج الإنترنت طوال اليوم. لهذا لا تجد جوجو غير وسيلة واحدة للتحدث إليهما؛ وهي مراسلتها عبر برنامج «سناب» لتخبرهما بأنها تريد أن تتحول إلى برنامج إلكتروني كي يقضيا معها بعض الوقت! فيدرك الوالدان خطأهما، ويعيدانها أنهما سيقضيان معها معظم وقتها للعب والرسم والقراءة.

تبدو فكرة تحوّل الطفلة إلى برنامج طريفة حقاً، رغم أن طريقة التحوّل غير واضحة في القصة، ولكن الحدث جعل الفكرة مبرّرة في سياق القصة. ونجد أن عدداً لا بأس به من قصص الأطفال تشير إلى مشكلة تعلق الأهل بالأجهزة الذكية، والنتيجة إهمال أبنائهم.

وهنا نؤكد أهمية مشاركة الوالدين أطفالهما في قراءة القصص، وعدم الاكتفاء بشرائها، لأن بعض تلك القصص تشير إلى قضايا تربوية قد لا يفطن إليها الأهل. إضافةً إلى أن بعض قصص الأطفال قد تكون تجارية تتضمن أفكاراً لا تتناسب مع قيمنا، لهذا يجب على الوالدين الحرص على ألا تقع في أيدي أطفالهم!

وضع فيه الأجهزة الحديثة من قبل. وكان صندوق الحكايات شبيهاً بالكتاب - في القصة السابقة- وبذلك يلتقي مهند العاقوص مع محمد جمال عمرو في حثّ الطفل على القراءة في الكتاب المفيد والمسلي، من دون أن يكون له أي عواقب وخيمة كتلك التي تتسبب فيها الأجهزة الذكية.



03 «بطل الحاسوب»

يقدم الكاتب السوري جيكر خورشيد في قصته «بطل الحاسوب» قصة واقعية بالطريقة الشائعة، فلا تتحدث فيها الجمادات كالكتب والأجهزة والفيروسات - كما هي الحال في القصتين السابقتين - وهذا أحد الأسباب التي جعلت القصة مباشرةً في الطرح لقلة الجرعة الخيالية.

الطفل يدمن لعبة «صراع الأقوياء»، فيبقى أمام شاشة الكمبيوتر ساعات طويلة - كأفراد أسرة الطفل في قصة العاقوص - حتى أتقن هذه اللعبة، وأخذ ينتصر في ألعابها، فدخل الغرور قلبه، وأخذ يظن نفسه بطلاً. ولكن عند الامتحان وجد نفسه يحقق أدنى الدرجات، رغم أنه كان من التلاميذ المتفوقين في المدرسة، وعند الإعلان عن مسابقة في الجري سجل اسمه ليعوّض خسارته في الدراسة، ولكنه كان الأخير لأن عضلاته أصابها الوهن؛ بسبب قضاة معظم يومه جالساً على الكرسيّ أمام الكمبيوتر، وهنا أدرك الطفل أنه لم يكن إلا بطلاً افتراضياً في لعبة إلكترونية، فقرّر العودة إلى الواقع بعودته إلى الدراسة والرياضة ليكون بطلاً حقيقياً.

هذه القصة نموذجية بامتياز في هذا المجال، وقد فضّل خورشيد أن يكون جدياً مع الطفل عند طرح هذا الموضوع، بل حازماً أيضاً.

05

«هدية جدي»



معطل. الجد الذي أجاد استخدام الجوال قرر إهداء حفيده هديةً بدوره، والطريف أنه لم يُهدِه جهازاً حديثاً كما فعل حفيده، بل أهداه الأجهزة القديمة التي لم يعد يحتاج إليها بوجود الجوال الذي أغناه عنها، مثل الهاتف السلّكي، والكاميرا، وساعة الحائط، والتلفزيون. ولم يرمِ آدم الأجهزة القديمة، ولم يتبرم منها، بل قرر أن يفتتح في منزل الجد متحفاً للمخترعات القديمة، ودعا الأصدقاء إلى مشاهدتها لأنها لم تعد متوافرة في كل منزل. ولم يكتفِ آدم بذلك، بل طلب من الجد أن يروي الحكايات ليصوّرها بجواله، ثم ينشرها على شبكة الإنترنت، كي يشاهدها الأطفال في كل أنحاء العالم؛ فالقصص القديمة لن تنقرض في زمن الأجهزة الحديثة، بل تلك الاختراعات سوف تحفظها من الضياع (كذلك نوه العاقوص إلى أهمية الحكايات وإن بطريقة مختلفة) وبذلك عمل إبراهيم على مصلحة لم نجد لها مثيلاً في قصص الأطفال التي تتحدث عن الأجهزة الذكية بريية، أو سوء نية، كما في أغلبية قصص الأطفال التي تتناول موضوع الأجهزة الذكية - كما في القصص السابقة أيضاً- ولعل هذه القصة هي الأقرب إلى الجيل القارئ الصغير. وهنا يجب التنبيه إلى ضرورة إجراء دراسات ميدانية حول تفاعل الأطفال مع القصص التي تعالج موضوع الأجهزة الذكية؛ لأن المؤلفين من جيل تفصله عن جيل القراء سنوات حدثت فيها تطورات جذرية في نمط الحياة وطرقها.

الكاتب المصري السيد إبراهيم يقدم في قصته «هدية جدي» رؤيةً جديدةً ومختلفةً عن النمط السائد الذي وجدناه في معظم قصص الأطفال، التي تدور أحداثها حول الأجهزة الذكية؛ فالمتعارف عليه أن وجود أجهزة ذكية يأتي بمشاكل تؤثر سلباً في حياة الطفل بطل القصة (قصتي عمرو وخورشيد) أو أفراد الأسرة من حوله (قصتنا العاقوص والشامسي) وإن أتى الحل المناسب في نهاية كل قصة. ولكن في قصة «مع جدي» نجد أن الجهاز الذكي لم يتسبب في أي مشكلة، بل أدخل السعادة إلى قلب الطفل، وقلب جده الذي بلغ الثمانين من العمر.

يهدى «آدم» جدّه «موبايل» حديثاً، ويعلمه استخدامه، وهذه كانت تجربة جديدة للجد الذي لم يشعر بالنفور من الاختراع الجديد، بل أقبل على التقاط الصور، وأعجبه وجود ساعة المنبه ضمن برامجه، وأخذ يتفرج على نقل مباشر لمباراة رياضية على شاشته لأن التلفزيون

أهمية النقد التطبيقي

تأتي أهمية كتابة النقد التطبيقي في قصص الأطفال من أنها تتناول موضوعات بذاتها من زوايا مختلفة، وتحلل الأسلوب الذي تمت فيه معالجة هذه الموضوعات، وهذا قد ينتبه المؤلف إلى أشياء لا ينتبه إليها؛ فتفتح له آفاقاً جديدة، لهذا فإن تناول قصص بعينها لا يعني اختصار مسيرة هذا الكاتب، بل هي إشارة إلى قصة بذاتها لا تعكس مسيرته كلها.

